EDITORIAL

المنهج المقاصدي في السنة النبوية ودوره في البناء الحضاري

د. محمد الأمين بله الأمين الحاج[1]

الملخص

هدفت هذه الدّراسة إلى تأسيس فهم مقاصدي للسنة النبوية، المتمثلة في كل ما صدر عن النّبي ﷺ من أقوال وأفعال وتقريرات وأخلاق وشمائل، وتصرفات، لتوظيفها في تحقيق النهوض الحضاري بمعناه الواسع، الذي يشمل فضلاً عن الفقه وأصوله، فقه الدعوة، وفقه سنن الله في الكون والآفاق، وفقه الاستخلاف في قيام الحضارات وسقوطها، وإنتاج كافة العلوم والمعارف، وإيجاد حلول لكافة مشكلات الأمة وفق فهم مقاصدي لتدبر القرآن الكريم والسنة النبوية، لاستعادة دور الإسلام الحضاري في كافة مناحي الحياة.

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي ثم الاستقرائي، وتوصل إلى العديد من النتائج منها؛ أن التدين الحقيقي الذي دعت إليه السنة النبوية، يعني التحرر من الألوهيات والظلم، وإقامة العمران، وإنتاج العلوم والمعارف، وإبداع الصناعات، وتجويد العمل، وبناء الحياة وفق منهج الله، لتحقيق النهوض الحضاري والبناء العمراني.

توصي الدراسة جميع الباحثين وعلماْ السّنة بأن تتوجّه جهودهم إلى توظيف السّنة النبوية في تحقيق مقاصد حضارة نافعة؛ تسهم في النّهوض الحضاري وعمارة الكون على الإنسانية النبيلة والأمن والفضيلة.

[1] معهد إسلام المعرفة –جامعة الجزيرة – السودان

مقدمة:

البحث يأتي محاولة في إطار الجهود الرامية إلى تأسيس منهجية مقاصدية، للبحث عن أصول جامعة لكليات الإسلام، لتكون مدخلاً مناسباً لتوجيه الدراسات في العلوم الإسلامية والاجتماعية، وفق رؤية الإسلام الحضارية للكون والإنسان والحياة، من خلال المرجعية المقاصدية للوحي، وتوظيف السنة النبوية في تحقيق النّهوض الحضاري والعمران، وما يواجهنا من تحديات علمية في واقعنا المعاصر، تتمثل في انتقال العصمة والقدسية من نصوص الوحي قرآناً وسنة إلى اجتهادات البشر، فتعطلت بذلك حركة العقل والاجتهاد والإنتاج الفقهي بمعناه الواسع الذي يواكب تطور الزمان والمكان، وتقدُّم الحياة الاجتماعية والحضارية، في تحقيق النّهوض والعمران، وقد ساد التقليد والجمود والدوران في فلك تفكير السابقين، وإنزالها على الواقع دون فقه وإدراك لهذا الواقع، وخصائصه وظروفه وما يلائمه من أحكام، وكيفية إعماله وتقديمه من خلال النّص، والنّظر في النّص وفقهه ومقاصده من خلال احتياجات الواقع، وذلك ببناء منهجية لفهم السّنة النّبوية في ضوء المقاصد العامة للقرآن الكريم، التي تشكل قاعدة متينة من قواعد التّدبر واستنباط الهدي المنهجي الكامن في الوحي، وهي التي تعصم من شطح التأويل وزيغ الفهم وانسداد الأفق، في بناء فهم السنة النبوية وتأويلها وإدراك مقاصدها، والوعي بأهمية المقاصد، وعلاقة قوتها بالواقع الاجتماعي،

EDITORIAL

والانتقال بها من مرحلة تعليل الأحكام، وفكّ ارتباطها بالفقه و أصوله، وربطها بالزمان والمكان، وإنزالها على الواقع العلمي والمعرفي، في زمان تعقدت فيه مشكلات الأمة، وتعددت حاجياتها، للإفادة منها في الاجتهاد ليس على القضايا الفقهية وحدها، بل يشمل كلّ العلوم والمعارف، وكلّ ما يجد من قضايا عقلية أو شرعية، تخدم مهمة الاستخلاف وبناء العمران، بإعمال العقل المبدع المجتهد، في إطار المبادئ الكلية للشريعة الإسلامية، وروحها ومقاصدها العامة، كما تأتي لتأسيس فهم مقاصدي للسّنة النبوية، المتمثلة في كلّ ما صدر عن النبي ﷺ من أقوال وأفعال وتقريرات وأخلاق وشمائل، وتصرفات، لتكون إطاراً مرجعياً يتمحور حول تحقيق النّهوض الحضاري، والاستخلاف بمعناه الواسع، الذي يشمل، فقه سنن الله في الكون، وفي قيام الحضارات وسقوطها، وإنتاج كافة العلوم والمعارف، لاستعادة دور الإسلام الحضاري في كافة مناحي الحياة، الفردية والجماعية والإنسانية، والمعاشية والروحية، فكل ذلك مصبوغ بالمنطق المقاصدي الهادف إلى البناء والعمران، كما يؤكّد ذلك الدكتور الفاروقي بقوله: "أن نعيد للإسلام شموله الأول وتأثيره في جميع شؤون الحياة؛ وجب علينا أن نعمم الاجتهاد ونوسعه لأنّه سبيلنا إلى – الاستحضار- أي جعل الإسلام حاضراً في كل مناهج الحياة- والتنشيط، أي جعله مؤثراً في حياتنا"[1]. وفي رأينا أنّه لا يمكن ذلك إلا من خلال بناء منهجية مقاصدية لفهم السنة النبوية، وتفسيرها وتحديد مجال تطبيقها، منطلقة من الرؤية الكلية القرآنية التوحيدية، والمنهج النبوي في تحقيق الاستخلاف الإنساني، واستيعاب فقه الواقع الحضاري، وحاجة الوجود للإصلاح والإعمار في كافة مناحيه الأخلاقية والمادية، والعقلية والنفسية، والفردية والاجتماعية، والسياسية والاقتصادية، والأدبية والعمرانية. ونرى أنه ليتم ذلك لا بدّ لنا من فهم المقاصد إطاراً منهجياً عاماً، وضابطاً حاكماً لحركة الاجتهاد الإسلامي، بوصفه سمة مميزة للمنهج النبوي في النهوض الحضاري، بقراءة مقاصدية لإصلاح منظومة القيم والمبادئ المتمثلة في مقصد العقائد والعبادات لربط المخلوق بخالقه، ومقصد المعارف والعلوم التي هي مدخل الإيمان وباب لوجه، و مقصد إصلاح الاجتماع الإنساني (العلاقة بين الوحي والوجود) بالمحافظة على إعمار الكون وإصلاحه. وغاية ذلك كلّه تحقيق مصالح الفرد، ومصالح المجتمع، وتحقيق مصالح الإنسانية، وإعمار الأرض، بما يحقق النهوض الحضاري والعمران، و يحقق هداية البشر والشهادة على الناس، وتحريك الحياة من خلال السّنن والتوافق معها، وفي هذا السياق يرى العلواني أنّ للمقاصد ضرورة فائقة في تأسيس المداخل الإسلامية للعلوم، ويعدّها المقياس والمعيار الذي تقاس عليه أعمال المكلفين[2]. ويسير في ذات السّياق جمال الدين عطية حينما يتحدث عن علاقة المقاصد بالعلوم، فقال: " إنّ العلوم الاجتماعية والإنسانية تحتوي على مجموعة من القوانين والسّنن الحاكمة للظاهرة الإنسانية والاجتماعية، ذات العلاقة بالمجال الذي يدرسه هذا العلم أو ذاك؛ مما يستدعي استعمال منهج مناسب على المقصد الشرعي للعلم، وهو ما يدخل في حيّز يتعلق بتحقيق الانسجام بين سلوك المكلف وتصرفاته الاختيارية، ذات الطابع المعياري والسّنن الكونية الحاكمة للظاهرة"[3].

---

[1]/ الفاروقي، إسماعيل راجي، الاجتهاد والإجماع كطرفي الديناميكية في الإسلام، مجلة المسلم المعاصر، عدد9، ص 15.
[2]/ العلواني: طه جابر، مقاصد الشريعة، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، عدد8، بيروت، 1999م، ص908.
[3]/ عطية: جمال الدين، مقاصد علم الاقتصاد الإسلامي، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، عدد8، 1999م، ص 179.

EDITORIAL

أولاً: مفاهيم ومصطلحات:

1/ مفهوم المنهج المقاصدي: نقصد به في هذا البحث: منهج الوصول إلى التمكين في الأرض، وتحقيق مهمة الاستخلاف الإنساني، والعمران البشري، في الدنيا، والفوز والنجاة في الآخرة، ذلك من خلال النظر في تعليل الأحكام الشرعية، ومحاولة فهم مقاصدها، واتخاذ المصلحة أساساً ومصدراً من مصادر التشريع[4].

2/ السنة النبوية: هناك معان عديدة للسنة ولكن نريد بها هنا: أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته، وأخلاقه وشمائله، وسيرته، سواء كان ذلك قبل البعثة أم بعدها، سواء أثبتت حكماً شرعياً أم لم تثبت، والسّنة في الفكر هي مجموعة القوانين التي يسير وفقها الوجود كلّه، وتتحرك بمقتضاها الحياة.

3/ البناء الحضاري: يقصد به الباحث: إعادة النظر في مقصد إعمار الكون والمحافظة على إصلاحه، ومقصد المحافظة على منظومة القيم الحضارية الإسلامية، ومقصد المحافظة على الإصلاح الاجتماعي؛ ذلك لأنّ رسالة النّبوة تتأسس على مرّ الدهور والأزمان على مقاصد ربط العلاقة بين الله و الإنسان والكون، لإنتاج الكمالات المعنوية والروحية، بغرض تكريم الإنسان وإعلاء شأنه، وتسخير الكون لخدمته، تحضراً وعمراناً. وما يمكن أن يسخره الإنسان من قدرات وإمكانات في قيام الحضارات وتداولها وسقوطها، من منطلق القناعة بحاكمية الوحي في التّدبر والتأمل في عوامل البناء الحضاري المتمثل في منظومة القيم الحضارية بفضل بناء العقيدة للإنسان والتصور الفكري للحضارة، وأسباب انحطاطها وتدهورها، من خلال سنن الابتلاء والفساد الأخلاقي الاجتماعي[5].

ثانياً: المنهج المقاصدي في السنة النبوية:

تتبين ملامح وسمات المنهج المقاصدي للسنة النبوية؛ من خلال نظرين: أولهما: العلاقة الوثيقة بين مقاصد مصدري المعرفة والتشريع، القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة(الوحي)، وثانيهما: من خلال النّظر في الدور المقاصدي للّسنة النّبوية وتوظيفها في تحقيق النّهوض والعمران(الاستخلاف).

1/ العلاقة بين مقاصد السنة ومقاصد القرآن: جاء النبي ﷺ بشريعة من أكمل الشّرائع، مبينة للأحكام القرآنية، وشارحة ومدعمة لها، ومبرزة من ناحية أخرى لمقاصده وأسراره وحكمه، وتثبت مقاصدية أحكامه، ووجوب أخذها ومراعاتها، كذلك جاءت لتعبر عن الفطرة والسّنن، وتضعها في بؤرة وعي الإنسان، ومن ثم ترشد سعي الإنسان وإرادته حتى يتمكن الإنسان من هدايتها وترشيدها، لتحقيق ذاته وغايته الإبداعية التسخيرية الإعمارية الخيّرة، والاستجابة لحاجاتها ونوازعها، حتى عرف أهل زمانه شرف ما جاء به، فنطقت به ألسنتهم، وتبين في خطبهم ومحاوراتهم، فلما انقضى عصرهم وجب أنّ يكون في الأمة من يبين وجوه هذا النّوع من المقاصد، والآثار الدالة على أن السنة النبوية جسدت هذا التشريع في حياة الناس[6]. وذلك من خلال كلّ ما صدر عن النبي ﷺ من أقوال وأفعال وتقريرات وأخلاق وشمائل وتصرّفات، وما يقال في مقاصدية القرآن الكريم يمكن أن يقال في مقاصدية السّنة النبوية، في إطار المرجعية

---

[4]/ أحمد كمال أبو المجد، الاستعانة بالسنة النبوية لتحقيق نهضة حضارية، مجلة المسلم المعاصر، العدد61، 1412هـ،1992م، ص 35.

[5]/ هيشور، محمد، سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة الرسائل الجامعية،1417هـ، 1996م، ص26.

[6]/ عطية: جمال الدين، مصدر سابق، ص178. بتصرف.

EDITORIAL

المقاصدية للوحي، قال ابن عبد البر:" وتبين المراد منه"[7]. يعني أنّ السّنة النّبوية بوصفها الوحي التالي للقرآن، فهي تبين مراد القرآن ومقاصده، فالمقاصد التي أقرها القرآن الكريم؛ هي نفسها التي عملت السنة النبوية على إبرازها وتأكيدها وتفصيلها وتفريعها، فالعلاقة وثيقة بينهما في بيان الشرع وتحقيق مقاصده وأسراره[8]، يقول الشاطبي:" وذلك أنّ القرآن الكريم أتى بالتعريف بمصالح الدّارين جلباً لها، والتعريف بمفاسدها دفعاً لها. وإذا نظرنا وجدناها لا تزيد على تقرير هذه الأمور، فالكتاب أتى بها أصولاً يرجع إليها، والسنة النبوية أتت بها تفريعاً على الكتاب وبياناً لما فيه منها"[9]، إنّ هذه المصالح والأمور العامة، قد تأصلت في السنة النبوية كما تأصلت في الكتاب، وتفصّل بعضها في الكتاب كما تفصّل بعضها في السنة النبوية، وكل منهما وحي من عند الله، مساوٍ للآخر في الحجية والمنزلة[10]، ويقول:" لما انبنت الشريعة على قصد المحافظة على المراتب الثلاث من الضروريات والحاجيات والتحسينات، وكانت هذه الوجوه مبثوثة في جميع أبواب الشريعة وأدلّتها، غير مختصة بمحل ولا بباب، ولا بقاعدة دون قاعدة، كان النظر الشرعي فيها أيضاً عاماً لا يختص بجزئية دون أخرى، لأنها كليات تقضي على كل جزئي تحتها، فإذا وجدنا أنّ الحفاظ على الدين، أو النفس، أو النّسل، أو المال، أو العقل، في الضروريات معتبر شرعاً، ووجدنا ذلك عند استقراء جزئيات الأدلة، حصل لنا القطع بحفظ ذلك وأنّه المعتبر حيثما وجدناه "[11].

2/ الدور المقاصدي للسّنة النبوية: يمكننا أن نبين الدور المقاصدي للسنة النبوية من خلال النظر في جملة مقاصد أخرى غير المقاصد الخمسة التي ذكرها علماء الأصول، وهي مجمل القضايا التي تطرق إليها د. الريسوني، وتصب جميعها في مجال تحقيق النّهوض الحضاري والعمران، يمكننا أن نلخصها في النقاط التالية[12]:

أ/ من السنة النبوية تستفاد غايات الوجود الكوني، وأهداف الحياة الإنسانية، والمقصد الكلّي المتعلق بالعبودية وصلاح الخلق.

ب/ ومن السّنة النبوية استُخلِصت الكليات الخمس الشهيرة: حفظ الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال.

ج/ والسنة بينت العديد من العلل والحكم والأسرار المتعلقة بالأحكام الفقهية العملية الجزئية.

د/ ومنها تبلورت بعض القواعد الفقهية المتصلة بالمقاصد الشرعية.

هـ/ ومنها اكتمل بناء أصول الفضائل وقواعد الأخلاق، وآداب التعامل.

و/ ومنها تبينت الخصائص العامة للشريعة الإسلامية.

ز/ ومنها تغذّى البناء الفقهي، والتّنظير الأصولي حيث تأسست النظريات الفقهية والأصولية.

---

[7]/ الموافقات، مرجع سابق، 27/4.

[8]/ د. نورالدين بن مختار الخادمي، الاجتهاد المقاصدي..حجيته.. ضوابطه..مجالاته، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، العدد65، 1419هـ، ص 79.

[9]/الموافقات، 346/4.

[10]/ عبد الغني عبد الخالق ، حجية السنة ، معهد الفكر (المعهد الفكري) شتوتكارت ، ط11،1986، "ص530-531.

[11]/ الموافقات،5/3-6.

[12]/أنظر: د. نورالدين بن مختار الخادمي، مصدر سابق، 79/1-82.

EDITORIAL

ك/ ومنها كان الأثر الواضح في تطوير المجال المعرفي والقانوني، في خدمة المقاصد الشرعية ومصالح العباد. وبناءً على ما سبق ينبغي أن يكون شغل المفسر والمجتهد والفقيه؛ تحقيق الاستخلاف بالنظر إلى العلاقة بين مقاصد الوحي قرآناً وسنة وبين ومقاصد الشريعة، من خلال التلازم بين السنة النبوية والبناء الحضاري، المتمثل في مقصد إعمار الكون والمحافظة على إصلاحه، ومقصد المحافظة على منظومة القيم الحضارية الإسلامية، ومقصد المحافظة على الإصلاح الاجتماعي، وهذا ما ستركز عليه هذه الدراسة، لتحقيق غرضها، يقول ابن عاشور في ما ينبغي أن ينشغل به المجتهد:" بيان ما يصل إليه، أو ما يقصده من مراد الله تعالى في وحيه الكتاب والسّنة، بأتم بيان يحتمله المعنى، ولا يأباه اللّفظ من كلّ ما يوضح المراد من مقاصد القرآن الكريم والسّنة النبوية، أو ما يتوقف عليه فهمه أكمل فهم، أو يخدم المقصد تفصيلاً وتفريعاً... فلا جرم إن كان رائد المفسر في ذلك أن يعرف على الإجمال مقاصد القرآن الكريم، مما جاء لأجله"[13]. ذلك بإصلاح الفرد والمجتمع، واللذين بصلاحهما يكون صلاح الكون وإعماره، حيث إنّ رسالة النّبوة تتأسس على مرّ الدهور والأزمان على مقاصد ربط العلاقة بين الله و الإنسان والكون، لإنتاج الكمالات المعنوية والروحية، بغرض تكريم الإنسان وإعلاء شأنه، وتسخير الكون لخدمته، تحضراً وعمراناً.

ثالثاً: المنهج النبوي إطارعملي للمقاصد:

نستطيع أن نوظف السنة النبوية في البناء الحضاري، من خلال رؤية الوحي: للكون والحياة والإنسان، إطاراً مرجعياً مقاصدي ومدخلاً مفتاحياً بوصفه إطاراً عملياً مناسباً لبناء فهم للتعامل مع السنة النبوية، وربط الحياة الإنسانية والوقائع البشرية، بالنظام التوحيدي" الكامل الشامل الذي يحقق غايات عظمى، ومقاصد كبرى، تتمثل في الاستخلاف الإنساني بمعناه الواسع، الذي يهدف إلى مقصد الإصلاح الاجتماعي، ومقصد المحافظة على الكون وإعماره، وذلك من خلال النّظر إلى أنّ حياة النبيﷺ كلّها تهدف إلى حفظ مصالح الخلق، وأن مهمته ﷺ مؤلفة بين بنائية القرآن الكريم وغاية الخلق الكلّية، وأنّ حياة النبي ﷺ كلّها تصب في تحقيق غاية الاستخلاف والشهادة على الخلق، ويمكن أن نفصل في ذلك من خلال النّظر في السنة النبوية كما يلي:

1/ بنائية مقاصدية للسنة النبوية: ونرى أنّه يتحقق ذلك بالنّظر إلى نصوص السّنة النّبوية المتمثلة في أقواله ﷺ ، وأفعاله، وتقريراته، وأخلاقه، وشمائله، وجميع تصرفاته، على أنّها تحقق منهجاً مقاصدياً يشكل مجموعة مبادئ معيارية تهدف إلى تحقيق مصالح العباد، فكلّ حياته ﷺ يجب أن تدرس في إطار مقاصد الشارع، ومما سبق يتبين لكلّ من تحقق في دراسة الجانب التطبيقي للإسلام، من خلال السّنة النّبوية الشريفة والسّيرة، يجد تجسيد كلّ هذه المقاصد عملياً في حياة الناس، ويستلهم منها حكمة النبي ﷺ ، في تقديم الحلول لمشكلات المجتمع، ومنهجية تعامله مع النفوس البشرية المتباينة: فكراً، ومزاجاً ومكانة، حتى تدرّج بها من مرحلة إلى مرحلة، بصبر وأناة، وحكمة، حتى

[13]/ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984، 41/1.(بتصرف).

EDITORIAL

نقلها من الجاهلية إلى الإسلام، فكان الإنتاج عبادة، والإتقان فريضة، وإنّ أرقى أنواع التدين إنّما يكون في تحقيق المصلحة العامة[14]، بتوجّه الطاقات صوب الإنتاج بما يحقق النّهوض والإعمار.

2/السنة النبوية بين بنائية القرآن وغاية الوجود: نجد أنّ "السّنة النّبوية" المتمثلة في مهمة الرسولﷺ، مؤلفة بين بنائية القرآن الكريم، وغاية الخلق الكلّية "كل البشر"، على المستوى النظري، ومُفاعلة بين وظيفة القرآن ورسالته، وبين البناء الاجتماعي للحياة الإنسانية، وواقعات الوجود البشري على المستوى العملي، بمعنى أنّها تؤدي دورين : الأول: على الصعيد المفاهيمي الذي يساهم في توضيح، وكشف المرجعية الكبرى للناس، من خلال رؤية الوحي: للكون والحياة والإنسان، وبهذا تكون السّنة النّبوية مدخلاً مفتاحياً مناسباً لبناء فهم للتعامل مع القرآن الكريم، والثاني يتمثل في ربط الحياة الإنسانية والوقائع البشرية، بالنظام التوحيدي" الكامل الشامل، الذي ختم على يد سيدنا محمدﷺ ، فالسّنة هي "الموحّد" الواقعي بين خطاب الشارع الحكيم، ومقاصده، وبين حاجات الخلق"[15]، من أجل تحقيق مقاصد حدّدها المولى تبارك وتعالى في كتابه العزيز، ووضحتها السنة النّبوية المطهرة، في ثنايا توجيهاتها، وسننها المضطردة، وذلك من خلال منظومة القيم العليا المتمثلة في عقيدة الإيمان التي يعتنقها المسلم، والشريعة التي تنظم الحياة، وإصلاح الكون وإعماره[16].

3/السنة النبوية أساس البناء الحضاري: لا يمكننا الحديث عن البناء الحضاري، وإحداث إصلاح اجتماعي، في واقع الناس النفسي، والاجتماعي، وإصلاح الكون وإعماره، بمعزل عن السنة النبوية المطهرة، فحياة النبيﷺ كلّها تشكل التطبيق العملي والتجسيد الحياتي لكليات القرآن الكريم، وتصب في مقاصد تحقيق الاستخلاف، والشهادة على الخلق، والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصى وتعدّ في مثل هذه الورقة، نذكر منها على سبيل المثال؛ الحديث الذي رواه أنس بن مالك قال: قال رسول اللهﷺ:(إن قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسيلة فليغرسها)[17]، ففي هذا النص دليل قوي يحث فيه النبيﷺ هذه الأمة على كلّ ما من شأنه أن يحقق مقصد المحافظة على الكون وإصلاحه، بالمحافظة على مسخّراته وإمكاناته، كما أنّ فيه دعوة للاستزراع والحرث والاستثمار والبناء والإعمار، واستمرار الإنتاج واستدامته وتعظيمه إلى آخر لحظة في حياة الإنسان، وكلّ ما يحقق النهوض الحضاري في عالم الشهادة على الخلق[18]؛ وذلك من خلال إعادة قراءة مقاصد الشريعة: وفق فهم المقاصد إطاراً منهجياً، وسمة تتميز بها السنة النبوية خصوصاً، وضابطاً حاكماً على الحركة الاجتهادية الإسلامية عموماً، فقصد الشارع قد انصرف ابتداءً إلى درء المفاسد عن الناس، وجلب المصالح الدنيوية، والأخروية لهم، فالنظام المقاصدي ركب أصلاً من أجل تحصيل مقصد كلّي عظيم، يفتقر إليه الوجود البشري بفطرته التي فطره الله عليها، وهو "مقصد الاستخلاف" الذي تنبني عليه كلّ المقاصد الأخرى، وتصدر عنه منظومة المصالح البشرية، يقول الإمام الشاطبي رحمه الله في موافقاته: " لما

---

[14]/ برغوث عبد العزيز، مصدر سابق، ص 66.
[15]/ المصدر السابق، نفسه، ص 67.
[16]/ ملكاوي، فتحي حسن، منظومة القيم العليا التوحيد والتزكية والعمران، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1401هـ، 1981م، ص36.
[17]/ مسند أحمد، مسند أنس بن مالك، (12925).
[18]/د. أحمد كمال أبو المجد، مصدر سابق، ص44.

EDITORIAL

انبنت الشريعة على قصد المحافظة على المراتب الثلاث من الضروريات والحاجيات، والتحسينيات، وكانت هذه الوجوه مبثوثة، في أبواب الشريعة، وأدلّتها غير مختصة بمحل، ولا بباب، ولا بقاعدة دون قاعدة، كان النظر الشرعي فيها أيضاً عاماً لا يختص بجزئية دون أخرى، لأنّها كليات تقضي على كل جزئي تحتها "....." فإذا وجدنا أنّ الحفاظ على الدّين، أو النَّفس، أو النَّسل، أو المال، أو العقل، في الضروريات معتبر شرعاً، ووجدنا ذلك عند استقراء جزئيات الأدلة، حصل لنا القطع بحفظ ذلك وأنه المعتبر حيثما وجدناه"[19]، يقول ابن تيمية رحمه الله: "إنَّ الشَّرِيعَةَ جَاءَتْ بِتَحْصِيلِ الْمَصَالِحِ وَتَكْمِيلِهَا، وَتَعْطِيلِ الْمَفَاسِدِ وَتَقْلِيلِهَا، وَأَنَّهَا تُرَجِّحُ خَيْرَ الْخَيْرَيْنِ وَشَرَّ الشَّرَّيْنِ، وَتَحْصِيلِ أَعْظَمِ الْمَصْلَحَتَيْنِ بِتَفْوِيتِ أَدْنَاهُمَا، وَتَدْفَعُ أَعْظَمَ الْمَفْسَدَتَيْنِ بِاحْتِمَالِ أَدْنَاهُمَا فَنَقُولُ: قَدْ أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِأَفْعَالِ وَاجِبَةٍ وَمُسْتَحَبَّةٍ؛ وَإِنْ كَانَ الْوَاجِبُ مُسْتَحَبًّا وَزِيَادَةً. وَنَهَى عَنْ أَفْعَالٍ مُحَرَّمَةٍ أَوْ مَكْرُوهَةٍ وَالدِّينُ هُوَ طَاعَتُهُ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ وَهُوَ الدِّينُ وَالتَّقْوَى؛ وَالْبِرُّ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ؛ وَالشِّرْعَةُ وَالْمِنْهَاجُ وَإِنْ كَانَ بَيْنَ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ فُرُوقٌ. وَكَذَلِكَ حَمِدَ أَفْعَالًا هِيَ الْحَسَنَاتُ وَوَعَدَ عَلَيْهَا وَذَمَّ أَفْعَالًا هِيَ السَّيِّئَاتُ وَأَوْعَدَ عَلَيْهَا وَقَيَّدَ"[20]، يقول دكتور العلواني: " لكي تأخذ الدراسات المقاصدية مداها المنهجي وتصبح جزءاً من المحددات المعرفية، وتؤدي دورها في معالجة الأزمة الفكرية، لا بدّ من التركيز على المقاصد الكلية للرسالة الخاتمة والشريعة التي جاءت بها، حيث إنّ المقاصد الجزئية والتفصيلية، ستُبقي الفكر المقاصدي الإسلامي حبيس الدائرة الفقهية الضيقة، وبالتالي فإنّ النظر الجزئي لن يتأثر كثيراً، ولن يتخلى عن مواقعه في الفكر الإسلامي كلّه، لا الفقه الإسلامي وحده، إلا إذا حصل الوعي على المقاصد الكلّية وأمكن التعامل معها بوصفها محدّدات منهاجية تضبط مع بقية حلقات المنهج الفكرية والمعرفية الإسلامية، وتتحول إلى جزء من نظام منطقي إسلامي يضبط حركة الفكر الإسلامي كلّه لا الفقه الإسلامي وحده، ويعصمها من الوقوع في الخطأ والانحراف[21]، ويتم ذلك الفهم المقاصدي في إطار مقصد الاستخلاف، ومقصد إصلاح وإعمار الكون، ومقصد تحقيق القيم الأصلية للوجود، في إطار الرؤية المرجعية الكونية الحضارية.

4/أهم سمات وملامح المنهج النبوي في البناء الحضاري:

يمكننا أن نقف على أهمّ ملامح المنهج النّبوي، التي فتح بها النبي ﷺ مغاليق النفس البشرية، أصلح بها الحياة الاجتماعية، وحقق بها الشهادة على الناس، وحرك بها الطاقات الكامنة في الصحابة، وكانت سبباً في النّهوض وبناء العمران، ويمكن حصرها في الآتي:[22]

أ/ التدرج حسب الأولويات: نجد أنّ من أهم هذه السّمات النبوية، في التربية والحركة والتكوين، التدرج في التربية، كما أفصحت عن ذلك السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وهي تصف منهجية الإسلام في البناء الحضاري،

19/ الشاطبي،إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، **الموافقات**، أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ،دار ابن عفان،الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م، 581/3.

20/ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ ، 1987م، 48/20.

21/ مقدمة كتاب إسماعيل الحسني، د. جمال عطية، نحو تفعيل مقاصد مقاصد الشريعة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1422هـ، 2001م، ص228.

22/ عبد العزيز برغوث، مصدر سابق، ص 62-64.

EDITORIAL

التي كانت وراء نجاح الدعوة الإسلامية؛ إنّما تمثلت في التدرج حسب الأولويات،: (إنّما نزل أول ما نزل منه - أي القرآن - سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو كان أول شيء لا تشربوا الخمر، لقالوا لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا، لقالوا لا ندع الزنا أبداً)[23] . ولو تأمل المسلمون اليوم عمل النبي ﷺ في التربية والحركة، لوجدوا أنّ من بين أهم المفاتيح التي فتح بها مغاليق النفس البشرية، وغير بها أوضاع الحياة الاجتماعية، التدرج في التربية والحركة والتكوين، حيث بدأ بالضروريات والحاجيات، ثم التحسينيات، وكان مقصده إصلاح الفرد، والذي به يصلح المجتمع، ومن ثَمَّ إصلاح الوجود وإعماره.

ب/قدرة النبي ﷺ على فهم النُّفوس والطبائع البشرية: ومن أفضل ما تميَّز به النّبي ﷺ من صفات، قدرته الفائقة على فهم الطبائع البشرية، والأوضاع الاجتماعية، وإدراك المؤثرات النفسية، والبيئية التي يخضع لها الناس، والتعامل معها في ضوء ذلك الفهم الشمولي العميق"[24]، الذي كان خير معين له على طرح الحلول الجذرية، للمشكلات الإنسانية، والنفسية، والاجتماعية، والفردية، والجماعية، وتحقيق النّهوض الحضاري وبناء العمران، ولقد أعانه على ذلك أمران أساسيان أولهما الوحي: الذي كان يطلعه به الله تعالى سواء عن طريق جبريل عليه السلام مباشرة، أو عن طريق الإلهام في بعض الأحيان عندما تقصر وسائله الخاصة، في التحري، والتدقيق، ويبدو أنّ أمراً مهماً سيفوته، أو خطراً كبيراً سيلحقه، ومن ذلك: عندما تآمر بنو النضير على قتله ﷺ، فأرسل إليهم محمد بن مسلمة، وقال له:(اذهب إلى يهود بني النضير، وقل لهم: إنّ رسول الله أرسلني إليكم أن اخرجوا من بلادي؛ لقد نقضتم العهد الذي جعلت لكم مما هممتم به من الغدر، وقد أجلتكم عشرًا، فمن رُئي بعد منكم ضربت عنقه)[25]. وثانيهما: خبرته ﷺ الذاتية: فكان خبيراً بنفوس أصحابه وقابلياتهم، عارفاً بقدراتهم واستعداداتهم، حيث كان يهتم بمعرفة كلّ صغيرة وكبيرة في المجتمع، الذي يكون فيه، ويكلّف أصحابه بإبلاغه ما يصلهم من معلومات وأخبار عن أحوال الناس، وأوضاع المجتمع، قال القاضي عياض فيما روي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما: ".. فيتشاغل بهم - أي الناس - ويشغلهم فيما يصلحهم والأمة، ومن مسألته، عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم"[26]، ويقول ﷺ: "(ليبلغ الشاهد منكم الغائب[27]، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته .. يكرم كريم كلّ قوم ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم، من غير أن يطوي عن أحد بشره وخلقه، ويتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس)"[28]. ويرسل رجاله المقتدرين إلى الجهات التي يريد معرفة حالها، فيأتونه بالأخبار التي يستعين بها على رسم خططه، وإنفاذ أمره ومواجهة أعباء ومسؤوليات الدعوة، والحدب عليها، حتى لا يلحقها الأذى، فخبرته ﷺ بالنفوس والأوضاع البشرية، وحرصه على متابعة مجريات الأحداث،

---

[23]/ البخاري، باب تأليف القرآن، (4707).
[24]/ عبد العزيز برغوث، مصدر سابق، ص62.
[25]/أبن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، الطبقات الكبرى،دار صادر بيروت، بدون، (57/2)، مغازي الواقدي (363/1-370)، انظر: تاريخ الطبري (552/2). (4) انظر: سيرة ابن هشام (212/3).
[26]/ابن سعد ، الطبقات الكبرى، مصدر سابق،433/1.
[27]/ البخاري، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب، (105).
[28]/ابن سعد، مصدر سابق ،423/1.

EDITORIAL

والإشراف عليها ولو من بعيد، ساعده كثيراً في ضمان قدر هائل من الفاعلية في حركته، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى في مثل هذه الورقة البحثية، ولكن يمكننا أن نذكر منها بعض النماذج[29]، فمثلاً: أ/ استثمر ذكاء زيد بن ثابت وقوة حفظه في تعلّم لغة اليهود، فتعلمها في سبعة عشر يوماً، قال زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَ يَهُودَ وَقَالَ: (إِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي). فَتَعَلَّمْتُهُ فَلَمْ يَمُرَّ بِي إِلاَّ نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى حَذَقْتُهُ فَكُنْتُ أَكْتُبُ لَهُ إِذَا كَتَبَ وَأَقْرَأُ لَهُ إِذَا كُتِبَ إِلَيْهِ."[30]، وفي الحديث دلالة واضحة على وضع الإنسان المناسب في المكان المناسب، وذلك أدعى للنّجاح ومزاولة الأنشطة العلمية المختلفة، حسب الميول والرغبات والاستعدادات. ب/ ومن الأمثلة على معرفته بقدرات أصحابه واستعداداتهم، اختياره ﷺ لابن أم مكتوم أميراً على المدينة، عندما خرج في بعض غزواته، وكان هذا الاختيار يناسب ابن أم مكتوم الأعمى، ومن ذلك أيضاً إرساله ﷺ لعبد الله بن حذافة السّهمي سفيراً لكسرى، كان يفعل ذلك لإعداد أصحابه إعداداً وظيفياً يتناسب مع مقدراتهم واستطاعاتهم، ذلك ليغطي بهم جميع التخصصات، وأنواع القيادات الإدارية والعسكرية، والدبلوماسية، والإعلامية، والعلمية والمعرفية[31]. فالاقتضاء الابتدائي في التركيب الإلهي للدعوة العالمية الإسلامية، وللرّسالة النّبوية الخاتمة، استدعى التلازم المطلق، بين السنة النبوية المطهرة، والقرآن الكريم، من جهة، والتلازم المطلوب، كذلك بين السنة النبوية والبناء الحضاري، الذي غايته القصوى هي تحقيق مقاصد الشارع في الخلق من جهة أخرى.

2/ استصحاب العلاقة الوثيقة و الرابطة القوية بين مقاصد السنة النبوية ومقاصد الشريعة؛ فإذا كانت مقاصد الشريعة هي الغايات التي جاءت الشريعة لتحقيقها لمصلحة العباد، فإنّ مقاصد السّنة النبوية هي المطالب والأهداف والغايات التي تستنبط من أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته وشمائله، وجميع تصرفاته، وإنزالها في حياة الناس، من حيث إن لها دلالات ومعاني تتمركز حول هدف أو أهداف تشكل مقاصد السّنة النبوية، وإذا كانت مقاصد الشريعة هي مطالب تستهدف من سن القوانين الشرعية وإجراء الأحكام الفقهية، فإنّ مقاصد السّنة النّبوية هي المطالب التي تستهدف من المنهج النبوي، وإنزال ذلك في تحقيق الاستخلاف بمعناه الذي بينا، ويمكننا القول بأنّ معظم الدّراسات والبحوث التي كتبت، والجهود المقدرة التي بذلت، في مجال المقاصد انصبت جميعها في مفهوم المقاصد، وتراثها ومنهجها وأهميتها في مجال استنباط الأحكام، وحسم الاختلاف في الأدلّة وأهميتها في بناء فقه الأولويات، وفي مجال السّنة النّبوية انصبت الجهود المبذولة في نقد السّند والمتن، وقبول الرواية وردها، وأغفلت جميعها النظر إلى العلاقة بين العلوم الشرعية، والعلوم الاجتماعية المعاصرة[32] لإحداث التكامل المعرفي، والتّواصل بين العلم والمرجعية الإسلامية المتمثلة في الوحي كتاباً وسنة، لتفعيل الحياة الإسلامية وتحقيق النهوض الحضاري

---

[29]/ خيري: إبراهيم محمد شريف، الدلالات التربوية في السنة النبوية، مجلة تفكر، معهد إسلام المعرفة، جامعة الجزيرة، العدد1-1436،2هـ، 2014م، ص110.

[30]/أبوداود في السنن، باب رواية حديث أهل الكتاب، (3647).

[31]/ إبراهيم محمد شريف خيري، مصدر سابق، ص 112.

[32]/ أبوبكر محمد أحمد، انعكاسات الفكر الأصولي على تخطيط مناهج التعليم الجامعي، مقاصد الشريعة نحو إطار للبحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، تحرير بروفسير عبد الله محمد الأمين النعيم، معهد إسلام المعرفة، دمشق، دار الفكر 2009م، ص 122-123.

EDITORIAL

والعمران، وذلك من خلال النّظر في مقاصد زائدة على الخمسة التي حصر فيها العلماء المقاصد الشرعية، كمقصد الاستخلاف الذي يقوم على مقصد منظومة القيم الحضارية: "الإيمان، والعلم، والعمل الصالح، وبصلاحه يقوم مقصد إعمار الكون وإصلاحه، يقول الدكتور الترابي في ذلك:" لا بدّ أن يكون بعض علماء المجتمع المسلم أشدّ إدراكاً لتقدير علم إدراك المصالح الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية أو الصّحية من الفقيه المتخصص في شؤون نظام الأحكام"[33]. كما نجد أنّ ابن عاشور يؤطر بحثه في المقاصد في جملة كليات يهتدي بها الفقيه إلى تنزيل فتواه، وتكييف قضاياه، وهي تتمثل في الفطرة، والسماحة والحرية والمساواة والحق والعدل، مع أنها تشبع روحاً خاصاً في أحكام الشريعة، وتفتح أفقاً أرحب وأوسع للتنظير الاجتماعي، والسياسي بمعناه الشامل[34]. وهو يضيف مقاصد أخرى تشمل: مقصد السماحة، ومقصد الحرية، ومقصد المساواة، ومقصد الحق والعدل، التي لا يستقيم الوجود، ولا تتحقق مصالحه إلا بتحقيقها.

3/ دعوة الفكر الإسلامي الحديث للاستفادة من المنهج المقاصدي في النظر إلى مقصد الاستخلاف بمعناه الواسع، الذي بينته الرؤية الكلية القرآنية، وهي التي انطلق منها النبيﷺ في النّهوض والبناء الحضاري، من خلال مقصد منظومة القيم المتمثلة في مقصد العقائد والعبادات، و مقصد المعارف والعلوم، و مقصد إصلاح الاجتماع الإنساني (العلاقة بين الوحي والوجود). ومقصد ذلك وغايته تحقيق مصالح الفرد، ومصالح المجتمع، وتحقيق مصالح الإنسانية، وهو مناط الاستخلاف، بما يحقق النّهوض الحضاري والعمران.

رابعاً: السّنة النّبوية ودورها في البناء الحضاري:

لتأسيس فهم مقاصدي للسّنة النّبوية، المتمثلة في كل ما صدر عن النبيﷺ من أقوال وأفعال وتقريرات وأخلاق وشمائل، وتصرفات، وتوظيفها في تحقيق النّهوض الحضاري بمعناه الواسع لفقه الاستخلاف في قيام الحضارات وسقوطها، وإنتاج كافة العلوم والمعارف، وإيجاد حلول لكافة مشكلات الأمة الأخلاقية والمادية، والعقلية والنفسية، والفكرية والاجتماعية، والسياسية والاقتصادية، والأدبية والعمرانية، وِفقَ فهم مقاصدي لتدبر شطر الوحي الآخر "السنة النبوية"، يوصفها إطاراً مرجعياً مقاصدياً للوحي، والبناء الحضاري، لاستعادة دور الإسلام الحضاري في كافة مناحي الحياة، في رأينا أنه لا يمكن لنا ذلك إلا من خلال بناء منهجية مقاصدية لفهم السّنة النّبوية، وتفسيرها بتحديد مجال تطبيقها، منطلقة من الرؤية الكلية القرآنية التوحيدية، في نظرها للاستخلاف الإنساني، واستيعابها لفقه الواقع الحضاري، وحاجة الوجود للإصلاح والنّهوض الحضاري في كافة مناحي الحياة، من خلال هداية الوحي وتوجيهه، وحقيقة الفطرة والسنن ومقاصدها، لتكون مدخلاً مناسباً لتوجيه الدّراسات في العلوم الإسلامية والاجتماعية، تحقيقاً للذات الإنسانية، واستجابة لحاجاتها وغاياتها الحياتية كما خلقها الله وفطرها، قال تعالى:﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ التي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ**

---

[33]/ عطية: جمال الدين، نحو تفعيل مقاصد الشريعة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 2001م، ص 202.

[3434]/ الميساوي: محمد الطاهر، دراسة وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة، والبصائر للإنتاج العلمي، كولامبور، 1998م، ص66

.

EDITORIAL

يَعْلَمُونَ﴾[الروم:30]. حيث نجد أنّنا بحاجة ماسة لفهم أعمق للمقاصد، وتوظيف أمثل للسنة النبوية في تحقيق النّهوض الحضاري والشهادة على الناس، بإعادة قراءة المقاصد بما يناسب واقع الناس وحياتهم، في ظل واقعنا المعاصر بكل ظروفه، وموجباته، مما أدخل الأمة في نفق الضّيق والحرج والمشقات، والأهواء التي لا تحمد عقباها في الدّارين، بسبب إغفالها، ويتحقق ذلك بالنّظر إلى الاستخلاف بمعناه الواسع، الذي يتحقق في رأيي بالنظر إلى أن قيم الإسلام غايتها هداية الناس إلى توجيه حركة الحياة الفردية والجماعية، نحو قيم حضارية عليا تحقق مصالح الفرد والمجتمع والوجود، ويترتب على ذلك مجموعة نتائج يمكننا إجمالها في الآتي: النظر في تعليل نصوص الأحكام الشرعية وفهم مقاصدها، واتخاذ المصلحة أساساً ومصدراً من مصادر التشريع، وضرورة التمييز في منهج النبي ﷺ بين ما هو تشريع عام صالح لكل الأزمان، وبين ما هو خاص بزمان ومكان معين، وقد بيّنه العلماء والمحققون[35].

أولاً: مقصد الاستخلاف:

نجد أنّ الرؤية الكلية الإسلامية لواقع الإنسان والكون والحياة، تعلن أنّ كليّة الاستخلاف هي أصل الكليات السابقة، وأنّ الإنسان قد تميز عن باقي المخلوقات، بحرية الإرادة والاختيار، وما ميزه الله به من مدركات وحواس واستعدادات، وما يترتب عليها من حساب وجزاء، وقد تختلف الفلسفات المادية في بعض جوانب ذلك وتفصيلاته، كما يؤكّد التصور الإسلامي شرف الإنسان وكرامته على باقي المخلوقات، واستعداداته لتحقيق النّهوض الحضاري؛ المرتبط بمقاصد مصالح الفرد، ومصالح المجتمع، ومصالح الإنسانية، والكون، فحفظ الدّين، والنّفس، والعقل، والمال، والنّسل، أمور مطلوبة شرعاً، ولكن كلّية الاستخلاف الكبرى التي بعث النبي ﷺ من أجل تحقيقها، لا تقتصر على القضايا الخمسة المذكورة في معظم كتب الأصول، ولكنها تتعدى لتنبّه إلى قضية أخرى في غاية الأهمية، وسوف لن تتحقق مصالح العباد على الوجه المطلوب إذا لم تراع، مما يعني إضافة كليات، يمكن أن تكون مما دلّ الشرع على اعتبارها، وجاء أصلاً للمحافظة عليها، وهي في اعتقادي تشمل مقصد المحافظة على منظومة القيم الأخلاقية، التي تتحقق بالعقيدة والعبادة، وباكتساب العلم والمعرفة، والإصلاح الاجتماعي، و مقصد الإعمار الذي يتحقق بالمحافظة على الكون وإصلاحه، وفي هذا يقول ابن تيمية - رحمه الله - عن علماء الأصول المشتغلين بفكرة المقاصد: ".. رأوا أنّ المصلحة نوعان: أخروية ودنيوية، جعلوا الأخروية ما في سياسة النّفس، وتهذيب الأخلاق، من الحكم، وجعلوا الدنيوية: ما تضمن حفظ الدّماء، والأموال، والفروج، والعقول، والدين الظاهر، وأعرضوا عن العبادات الباطنة والظاهرة من أنواع المعارف بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وأحوال القلوب، وأعمالها: كمحبة الله، وخشيته، وإخلاص الدين له، والتوكل، والرجاء لرحمته، ودعائه، وغير ذلك من أنواع المصالح في الدنيا والآخرة، وكذلك فيما شرعه من الوفاء من العهود، وصلة الأرحام، وحقوق المماليك، والجيران، وحقوق المسلمين بعضهم على بعض، وغير ذلك مما أمر به ونهى عنه: حفظاً للأحوال السنية، وتهذيب الأخلاق، ويتبين أنّ هذا جزء من أجزاء ما جاءت به الشريعة

[35]/ أنظر: د. أحمد كمال أبو المجد، الاستعانة بالسنة النبوية لتحقيق نهضة حضارية، مجلة المسلم المعاصر، العدد61، 1412هـ، 1991م، ص35-36.

من مصالح"[36]. إنّ ملاحظة شيخ الإسلام تبحث في صميم "النظام المقاصدي"، وكأنّه يريد أن ينبّه على ضرورة إعادة قراءة مقاصد الشريعة، ومحاولة إدراج أهداف أخرى دلّ الشرع على اعتبارها، حيث رأى أنه من الضروري إلحاقها بالكليات السابقة. وسواء أكان ما اقترحه من مقاصد يمكن أن يشكل كلية جديدة، تدرج في عداد الكليات الموجودة، أو كان داخلاً أصلاً في الكليات القائمة، ولكن الاشتغال بها كان قليلاً فوجب التنبيه عليها، فإنّ الأمر الذي يهمُّنا هنا هو طلب الاجتهاد، والدّعوة إليه في قضية تبدو أنّها اكتملت حلقاتها .. وحتى الإمام الشّاطبي الذي أدار البناء الأصولي بأكمله على مقاصد الشريعة، ركّز على نفس الكليات الموجودة من قبل، يقول في ذلك د. عمر عبيد: "إنّ اقتصار الاجتهاد المقاصدي على المجال الفقهي التشريعي فقط، وإغفال النظر في قضايا مقاصد الاستخلاف، ومقاصد المحافظة على الكون، ومقاصد القيم الحضارية للأمة، على أهميتها في عمق المجتمعات البشرية، كان سبباً في القصور والخلل الذي أصاب المنهجية المعرفية، وورث التخلف والعجز وانعدام تحمل المسؤولية"[37]. عليه نرى أنّه لابدّ من دراسة مقاصد الاستخلاف، ومقاصد الإصلاح الاجتماعي، المحافظة على إعمار الكون وإصلاحه، ومقاصد المحافظة على منظومة القيم الحضارية الإسلامية، التي أغفلتها الدراسات الأصولية والتشريعية، التي تحقق النهوض الحضاري وبناء العمران[38].

ثانياً: مقصد المحافظة على منظومة القيم الحضارية:

كذلك من المقاصد الكلّية الحضارية التي تحقق النّهوض، حاجة العالم اليوم إلى قيم حضارية، نابعة من مرجعية صلبة تجعل الإنسان مسؤولاً عن كل ما يمكن أن يقترف من أفعال تضرُّ بالوجود، والنّظرة الحضارية الإسلامية تكشف عن وجود قيم سامية ناظمة، لإصلاح الفرد، وإصلاح الاجتماع الإنساني، ومن ثَمَّ للتعامل مع خيرات الكون، من منظوري التّسخير والاستخلاف؛ والمسؤولية عن كل تصرف مخل بالتوازن البيئي، مقصد القيم الحضارية التي أقام عليها النبي ﷺ صرح الحضارة الإسلامية، فهي شاملة لكافة مناحي الحياة، و مستندة إلى الرؤية الإسلامية الحضارية الكلّية في العقيدة الإسلامية، تنبني على الثواب والجزاء الأخروي، وتتجاوز النفعية المادية الظرفية، وهي مطبقة في الواقع، وبواسطتها بنيت الأمة الإسلامية عبر التاريخ، وفائدتها تَطال العالمين دون تمييز على أساس العرق أو اللون أو الدين، اللّهم ما كان من ثواب جزيل أعده للمؤمنين برسالة الإسلام وبثواب الآخرة، أما ثواب العاجلة فللمتمسك بالقيم من جميع الملل والنحل وفقاً للسّنن الإلهية الكونية، قال تعالى:﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ...﴾(الإسراء:18-20). ويمكننا أن نقف منها على أربع قيم أساسية في نظري أنه لا يتم استخلاف، ولا يتحقق للأمة نهوض حضاري، ولا بناء و إصلاح عمراني إلا بها، ويمكن إجمالها في: مقصد ربط الخالق بالمخلوق، ومقصد القيم العلمية والمعرفية، ومقصد الإصلاح الاجتماعي. ويمكن تفصيل ذلك في الآتي:

---

[36]/ ابن تيمية، مصدر سابق، 479/4.
[37]/ عمر عبيد حسنة، مقدمة كتاب الاجتهاد المقاصدي، مصدر سابق17/1.
[38]/ أنظر: عمر عبيد حسنة، المصدر السابق. نفسه، ص16/1.

EDITORIAL

1- **مقصد ربط الخالق بالمخلوق:** إنّ ما يميّز المنظور الإسلامي للقيم على سائر المنظومات الأخرى، ترسيخه لمفهوم العبودية وعمارة الكون أولاً. والذي يقتضي وجود الإيمان، وعبادة الله بمفهومها الشامل الذي يتناول كل جوانب الحياة، الروحية والاجتماعية والكونية[39]، والثاني العمل الصالح بإعمار الكون وإصلاحه، ولم يكن من المستغرب أن يقضي رسول الله ﷺ ثلاث عشرة سنة في ترسيخ قيم العقيدة في النفوس لأنّها الأساس المتين الذي ستُبنى عليه باقي مكونات منظومة القيم الحضارية للأمة الإسلامية، فقد كانت مهمة النبي ﷺ تطهير العقول من خرافات الشرك وأباطيله، وتطهير القلوب من قسوة الجاهلية وغلظتها، والإرادات من الشهوات البهيمية، وتطهير السلوك من رذائل الجاهلية، وتنمية العقول بالمعرفة، والقلوب بالإيمان، والإرادات بالتّوجه إلى الأعمال الصالحات، والسلوك بالتزام العدل والإحسان ومكارم الأخلاق، ثمّ ينزل أول ما ينزل من أحكام العبادات، الصلاة، فالمنطلق إذن في بناء منظومة القيم يبدأ بربط الخالق بالمخلوق، وما سيأتي بعد ذلك من أوامر ونواهٍ ستجد طريقها الطبيعي إلى التنفيذ بناء على ذلك[40]. وتهدف القيم الاعتقادية والتعبدية إلى تركيز مفهوم وحدانية المعبود، يقابلها تحرير الإنسان من كلّ مظاهر العبودية لأي مخلوق أو كائن سوى الله، فضلاً عن المصلحة المتحققة من التلازم بين الإيمان بالله، وسعادة حياة الفرد والجماعة، وما يثمره في نفس الإنسان وفي روابطه الاجتماعية، وعلاقاته بالكون من آثار من شأنها أن تعود بسعادة الأولى والآخرة، وأثر ذلك في زرع الطمأنينة والأمن والسلام، في نفس الفرد والمجتمع، وهي مقاصد ضرورية للإنتاج والإعمار، ويكفي أن ندلّل على ذلك من السّنة النّبوية بحديث ابن عباس حيث يقول: لما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى أهل اليمن قال له:(إنّك تَقدُم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أنّ الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أنّ الله افترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فَخُذ منهم وتوقّ كرائم أموال الناس)[41]، وتعزز شعائرُ العبادات الخمس هذه الصلةَ بالله، وتعمّق القيمَ الإسلامية في المجتمع من خلال التنفيذ الجماعي لهذه العبادات لانسجام وحدة العبادة مع وحدة المعبود، فالصلاة لها صور عديدة، في أوقات مختلفة تؤدي بصورة جماعية، وفي مكان آمن وطاهر وهو المسجد، والصيام كذلك يحقق الوحدة والتآلف بين المسلمين، والشعور بألم الجوع يولد في نفس الصّائم حاجة الفقراء والمحتاجين، لمد يد العون والمساعدة، والحج مؤتمر عظيم يجتمع فيه المسلمون من كلّ فجّ عميق، يحقق المساواة والوحدة،

---

[39]/ نعمان عبد الرازق السامرائي، نحن والحضارة والشهود، كتاب الأمة، قطر، عدد80، 1421هـ، ص 103.

[40]/ عبد المجيد النجار، الإيمان والعمران، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد1417،8هـ، 1997م، ص 53.

[41]/ البخاري، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ. (6937).

والزكاة وسيلة عظيمة للتكافل والرعاية الاجتماعية، وتؤلّف قلوب الفقراء والأغنياء، في كامل صُور الإبداع والاتساق[42]، ويجد كلُّ ذلك أثره في سلوك الإنسان اليومي في كل مجالات الحياة، بتنمية قدراته الذاتية، روحه بممارسة الخير والفضيلة، والتخلص من الأدران الشهوانية، فيكون بذلك الإنسان على هيئة نفسية متوازنة مادياً وروحياً وأخلاقياً، مما يعدّها للانطلاق في الكون لإنجاز الخلافة والتعمير في الأرض[43]، وتنمية عقله بتغذيته بالعلوم والمعارف، و تنمية جوارحه بإكسابها القوة بإدراك المحسوسات، وأداء المنجزات العملية[44]، قال تعالى:﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾(الروم:30)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من مولود يولد إلا على الفطرة؛ فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه)[45]. والعقل مناط التكليف، ومكمن المحافظة على صفاء الفطرة، قال تعالى:﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...﴾(البقرة:164). لهذا جاءت الشريعة لتحافظ على مصلحة العقل بوصفه مقصداً من المقاصد الضّرورية، وشرعت كلّ الأحكام التي تبقي عليه وتنميه، ونهت عن كل ما يغيبه ويرديه.

2- **مقصد القيم العلمية والمعرفية**: ونجد ذلك عند الأصوليين يعرف بكلية حفظ العقل، فمن المعلوم أنّ الإسلام دين العلم والمعرفة، ذلك لأنّ العلم هو باب الإيمان ومدخله، لذلك ركز الإسلام على قيم التفكر والتدبر والتأمل والاستبصار وأخذ العبرة، فبنى لذلك منهجاً للاستدلال على وجود الخالق وعظمته، لأنّ دعوته للعلم في الحقيقة هي إحياء للقلوب والعقول، قال تعالى:﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾(آل عمران:190)، وربط في أول آية نزلت من القرآن الكريم بين المعرفة والربوبية، قال تعالى:﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(العلق:1-5). وبيّن أن العلم بالخالق مدخل لخشيته وطاعته، قال تعالى:﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(فاطر:28)، وجعل الحفاظ على العقل من ضروريات الإنسان الخمس التي لا تقوم الحياة بدونها، وهو طريق الحصول على الزاد المعرفي والمنهجي الذي يمكّن المتعلم من معرفة الذات وبناء الحضارة، كما يمكنّه من غربلة الفكر الإنساني بمختلف مشاربه بمقياس القيم الإسلامية، فينتفع ويترك ويتفاعل ويؤثر في إطار سنة التّدافع الإلهية، لأن بناء الفهم المقاصدي ينعكس عطاؤه على جميع جوانب المعرفة، بما يحقق مصالح الدنيا والآخرة، ويحقق الانسجام بين قوانين الكون،

---

[42]/ أنظر: مقاصد الشريعة وتحقيقها في المجتمعات المعاصرة، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، الندوة العالمية، 1427هـ، 2006م، ص 588.
[43]/ عبد المجيد النجار، مصدر سابق، ص54 .
[44]/ عبد المجيد النجار، الاستخلاف في فقه التحضر الإسلامي، مجلة التجديد، العدد الأول، 1417هـ، 1997م، ص 95.
[45]/ البخاري، باب إذا سلم الصبي فمات هل يصلى عليه، (1292).

EDITORIAL

ونواميس الطبيعة، وسنن الله في الأنفس والآفاق، وامتلاك القدرة على إمكانية المدافعة والتسخير[46]، قال تعالى:﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾(البقرة:251). وقد خَصَّ رسول الله ﷺ العلم والعلماء بالمكانة المتميزة المحفزة على الطلب الدائم للعلم، فقد روى أبن بُردة عن أبي موسى عن النُبي ﷺ أنّه قال:(مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصابت منها طائفة أخرى إنّما قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلّم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)[47]، و قالﷺ:(إنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يطلب)[48]. وهكذا تتجلّى مقاصد القيم العلمية والمعرفية؛ فهي التي تنظم تصورات الإنسان للكون والحياة والمصير، وذلك حين تؤدي كلُّ وسيلة من وسائل المعرفة وظيفتها في الترقي، وفق منهج الاستخلاف، رصداً للمشاهد المحسوسة بالحواس، وتأملاً استنتاجياً بالعقل، ونفاذاً مباشراً بالبصيرة، وتلقياً من الوحي في مجاله المخصوص، فإنّها حينئذ تبلغ بالإنسان درجة من إدراك الحقائق تجعله قريباً من الله تعالى[49]. وبذا يكون "علم الإنسان موحد المصادر، فالحس والعقل فيما هو مشهود، والبصيرة والوحي فيما هو مغيّب، تتحد كلّها و تتناصر في رحاب الإيمان"[50]، مما يجعل حراكه على هدى ورضوان، وهي مناط التكليف والاستخلاف في الأرض، فإذا انفصل الإنسان عنها أفسد في الأرض وأهلك الحرث والنسل، كما هو الشأن في المنهج الحسي المادي الغربي، وما تقدم كان حصيلة قراءة ومصاحبة ومجالسة وبحث دقيق، ولذلك كان علماؤنا رضي الله عنهم، يحثّون على مجالسة العلماء ومرافقتهم ليس للسَّماع منهم فقط، وإنَّما للتزود منهم برحيق العلم الذي هو الخُلُق الرفيع، قال الشَّعبي رحمه الله: "جالسوا العلماء فإنَّكم إن أحسنتم حمدوكم، وإن أسأتم تأولوا لكم وعذروكم، وإن أخطأتم لم يعنّفوكم، وإن جهلتم علّموكم، وإن شهدوا لكم نفعوكم"[51]. ونجد أنّ علماءنا يقسمون الحصول على العلم والمعرفة إلى مراحل يمكن إيجازها في ثلاث مراحل هي[52]: مرحلة اكتساب المعرفة، ومرحلة تطبيق المعرفة، ومرحلة نشر المعرفة،

---

[46]/ عمر عبيد حسنة، مقدمة كتاب الاجتهاد المقاصدي، مرجع سابق.18/1.

[47]/البخاري، باب فضل من علم وعلم، (79).

[48]/ الترمذي، باب في فضل التوبة والاستغفار، (3535).

[49]/ عبد المجيد النجار، الإيمان والعمران، مصدر سابق، ص 98-99.

[50]/ المصدر نفسه، ص 65.

[51]/أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، مؤسسة الريان - دار ابن حزم، الطبعة الأولى 1424-2003 هـ، 256/1.

[52]/مقال بعنوان عمليات إدارة المعرفة في ضوء المنهاج والفكر الإسلامي، د. محمد سرحان علي قاسم، مجلة المنبر، العدد23،2016م، هيئة علماء السودان، ص 17-25.

EDITORIAL

ويمكن أن نضيف إليها مرحلة توريث المعرفة، وإيصالها لطلبة العلم بالأدوات والوسائل المتاحة، ومرحلة تنقيح وتوثيق وحفظ المعرفة، وأخيراً مرحلة تحديث وديمومة المعرفة، كما أنّ منهجهم في التثبت والدقة والموضوعية في الكشف عن الحقائق، كان متميّزاً عن غيرهم من الفلسفات الأخرى غير الإسلامية، فإن نظرة الإسلام إلى الوجود غيرت مجرى تاريخ الحضارة وبدلت معالمها، سواء في آفاق الحياة الفكرية أو العملية أو الاجتماعية أو غيرها، لقد كان للنّظرة الإسلامية إلى الحياة والكون أثرها العميق الفعال في تاريخ الحضارة واتجاه مسيرها في جميع ميادين الحياة، لقد نقل الإسلام العالم من النظرة الخرافية والميتافيزيقية والمجزأة، إلى النظرة الشاملة الجامعة الموضوعية والتجريبية المتنظمة في سنن وقوانين، وفتح آفاق التفكير العلمي فسار البحث العلمي في طريق جديدة، وانتقلت العلوم الطبيعية من المرحلة العقلية النظرية عند اليونان إلى المرحلة التجريبية منذ القرن الثاني للهجرة، وانتهت الكيمياء والفيزياء والفلك إلى مرحلة التجربة واكتشاف القوانين، وظهر أمثال الجاحظ وابن الهيثم والبيروني والرازي وأولاد موسى بن شاكر[53]. ولم يقتصر الأمر على الطبيعة الجامدة، بل تناول الإنسان والحياة الاجتماعية، فقد انبثقت عن النظرة الإسلامية نظرة علمية إلى المجتمع أنتجت لأول مرة في تاريخ الفكر البشري تفكيراً علمياً، كتفكير ابن خلدون في مقدمته والشّاطبي اللذين سبقهما مؤلفون في حياة الأقوام والمجتمعات كالبيروني في الآثار الباقية، والمسعودي، هذا إلى جانب الأفق الجديد الذي شقّ المسلمون إليه الطريق في معرفة النفس الإنسانية ونزعاتها وخواطرها ورغباتها وما تعانيه من صراع وتبدّل وتطور، إنّ نظرة الإسلام إلى الطبيعة نظرة عملية، وإزالة الحواجز الخرافية الابتدائية بينها وبين الإنسان أطلقت يده فيها يستثمرها ويسخرها، ودفعت الأمم التي دانت بالإسلام إلى حياة عملية كثيفة خصبة، فكانت الحركة الاقتصادية في العصور الأولى للإسلام حركة واسعة النطاق، سواء في الصناعة أو الزراعة أو التجارة أو العمران، ويكفي أن نعرف ما كانت عليه عواصم الإسلام الكبرى كبغداد، العاصمة العالمية العظيمة، ودمشق وقرطبة وغرناطة، وأن نتصور التجارة التي بلغت أقصى الشرق والغرب، وما بلغته الزراعة في الارتقاء والاتساع والصناعة من الازدهار العمراني.

3- **مقصد الإصلاح الاجتماعي:** نجد أنّ الإسلام قد احتفى بالحياة، وأكرم الوجود الإنساني، أيّما إكرام، لأنّ بقاء الوجود واستمرار الحياة، ببقاء الإنسان، والحفاظ على حياته وتأمينها، واحدة من المقاصد الضرورية التي جاءت الشريعة للمحافظة عليها؛ وذلك من جانبين: الأول: من جانب الوجود: وهو مجال لتمثل القيم الإسلامية الموجهة للسلوك العام داخل المحيط الصغير (الأسرة) أوّلاً من حيث تنظيم العلاقة بين الأزواج وبين كلّ واحد منهم والأبناء، ثم بين كل هؤلاء وذوي الأرحام، ثم تتوسع الدائرة إلى الجار الجنب والصاحب بالجنب، فإلى المحيط

[53]/ول ديورانت، قصة الحضارة، بيروت، لجنة التأليف والترجمة والنشر،196/13.

EDITORIAL

الاجتماعي الإنساني الواسع، يقول ابن خلدون: "في فطرة الإنسان منزعاً اجتماعياً يدفعه إلى التآلف مع الآخرين لحفظ ذاته وحفظ نوعه، إذ لا يتأتى ذلك إلا بالتآلف الجماعي"[54]، لأنّ من أهم المعاني التي تستلهمها الجماعة من وحدانية الله، مقصد تحقيق وحدتها الشاملة؛ المتمثلة في وحدة الشعور، ووحدة الولاء، ووحدة الغاية، ووحدة الحكومة، وتحكم كلَّ هذه العلاقات قيم الاحترام والتوقير والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر والتناصح وحب الخير للناس، والتضحية من أجل الصالح العام، والإحسان والتكافل والعدل والتآزر والتزاور والتكامل والتعاون، ونجد أّن السنة النبوية تعزز لهذا المفهوم وتؤكده، ومن ذلك حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- :(لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَا هُنَا). وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ:(بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ)[55]، ففي القيم الناظمة للأسرة، علّمنا الإسلام أنّ المودة والسكينة والرحمة أساس استقرارها، وأنّ القانون والأحكام الشرعية المنظمة لها لا تعدو أن تكون علاجاً لآفات استفحلت وتعذر علاجها بالموعظة الحسنة والتذكير بالميثاق الغليظ، وكلّ وسائل الضبط الاجتماعي والرقابة الذاتية، ولذلك وجدنا الآيات التي تتحدث عن نظام الأسرة في الإسلام وخاصة عن نظام العلاقة بين الزوجين تختم في العادة بقوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(النساء:1)، وقال تعالى:﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾(النساء:34)، وقوله تعالى:﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شيء شهيداً﴾(الأحزاب:55)، للدلالة على الدور الكبير للقيم والرقابة الداخلية في نظام الأسرة، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ...﴾(النساء:1). وجعل الإسلامُ مسؤولية القيام بأعباء الأسرة مسؤولية مشتركة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:(كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته)[56]. ونظّم العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة على أساس قيم احترام الكبير، وتوقير الصغير، والتّودد إلى الأطفال والعدل بينهم، وحماية حقّهم في التربية على مكارم الأخلاق، وتعليمهم العلم النّافع، وتوفير كل ما يحتاجونه من غذاء وكساء وشراب وعلاج ورعاية، وغير ذلك، كما ألزم الأبناء برد الاعتبار لمجهود الآباء عند الكبر، فأمر بطاعتهما والنّفقة عليهما عند الحاجة والعوز، والدعاء لهما بعد الوفاة، وإكرام وصلة أصدقائهما، لأنّ ذلك من

---

[54]/ ابن خلدون، المقدمة، القاهرة، مطبعة الشعب، د ت، ص 39.
[55]/ مسلم، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، (6706).
[56]/ البخاري، باب الجمعة في القرى والمدن، (853).

EDITORIAL

برّهما، قال تعالى:﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وبالوالدين إحساناً...﴾(الإسراء:23-24)، أما القيم الناظمة للعلاقات الاجتماعية فقد نبّه الإسلام إلى أنّ مخالطة الناس والصّبر على أذاهم، والنّصيحة لهم والعفو عنهم، والمسارعة إلى فعل الخير المفيد للأمة من مكارم الأخلاق، قال تعالى:﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾(آل عمران:133-134). والجانب الآخر من جانب العدم: حيث دعا إلى تجنُّب كلّ ما يسيء إلى نظام العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، بغض النظر عن الدين والعرق واللون، من غيبة ونميمة وظلم واعتداء على الأنفس والأموال وقطيعة رحم وغرور وكبر، لأنّ أصل الناس واحد من ذكر وأنثى، برغم تعدّد الشعوب والقبائل، ولعلّ مقصد هذا التنّوع هو التّعارف والتّعاون، والامتياز إنّما يكون بمعيار معنوي لا علاقة له بامتياز شعب ولا قبيلة في نظر الإسلام[57]، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ...﴾(الحجرات:11-12). كل تلك الأوامر والنّواهي تُشكّل العقد الناظم للعلاقات الاجتماعية التي أرسى الإسلام دعائمها بنصوص قرآنية وحديثيه جامعة، يقول النّبي ﷺ:(أيها الناس ألا إنّ ربكم واحد وإنّ أباكم واحد إلا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى)[58]، والمتأمل في هذه النصوص يجد أنّ حسن الخلق مفتاح القيم الاجتماعية، وأساس الاستخلاف والنّهوض الحضاري، قال ﷺ: (إنّ من خياركم أحاسنكم أخلاقاً)[59]. والإيمان بالله في كلّ ذلك قوة دافعة لفعل الخير، ورادعة عن الشّر، قال تعالى:﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ...﴾(البقرة:177). وقد فصّل رسول الله ﷺ-قولاً وفعلاً- قيم التماسك الاجتماعي ورغّب فيها، ومن ذلك قوله ﷺ: (حقّ المسلم على المسلم خمس: رد السلام وعيادة المريض وإتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس)[60]، وقال ﷺ:(أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكّوا العاني)[61]. ونهى ﷺ عن كلّ ما يضرُّ بالعلاقات الاجتماعية، فقال ﷺ:(والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن"، قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: (الذي لا يؤمن جارُه بوائقَه)[62]. وقال ﷺ: (لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخواناً)[63]. فإذا ما قارنّا هذا الهدي النبوي في مقاصد الإسلام في الحفاظ على بقاء المجتمع الإنساني بما نراه من مشاهد وأحداث تدور في واقعنا المعاصر، من تقتيل وتشريد ودماء وأشلاء، وإهلاك للحرث والنّسل، وما تهيئه المدنية المادية من وسائل الدمار للإنسانية، والقضاء على الحياة البشرية والعمرانية، يتأكد لنا

---

[57]/د. القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن، 105.
[58]/ مسند أحمد بن حنبل، حديث رجل من أصحاب النبي، (23536).
[59]/ مسلم، باب كثرة حيائه (6177).
[60]/البخاري، باب الأمر باتباع الجنائز، (1183).
[61]/ البخاري، باب الأطعمة، (5058).
[62]/ البخاري، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، (5670).
[63]/ مسلم، باب النهي عن التحاسد والتباغض والتدابر، (6695).

EDITORIAL

أنه لا نجاة للعالم، ولا نهوض للحضارة ولا عمران إلا بالرجوع إلى الإسلام، عقيدة وشريعة وأخلاقاً وسلوكاً، والسنة النبوية تؤكّد ذلك، وطبقته واقعاً عملياً في الحياة، فقد جاء عن رسول الله ﷺ أنّ ابن عمر رضي الله عنهما، قال:(إِنَّ امْرَأَةً وُجِدَتْ فِي بَعْضِ مغزى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- مَقْتُولَةً فَأَنْكَرَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- قَتْلَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ)[64]. كما عمد النبيﷺ إلى قادة الجند والمقاتلين يوصيهم بعدم الاعتداء على الأطفال والنساء والشيوخ، حفاظاً على هذا النوع الإنساني وبقائه، فكان يقول:(انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ وَلاَ تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا وَلاَ طِفْلاً وَلاَ صَغِيرًا وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ تَغُلُّوا وَضُمُّوا غَنَائِمَكُمْ وَأَصْلِحُوا وَأَحْسِنُوا(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)[65]. إنّ هذه النُّصوص الجامعة تدلُّ دلالة قاطعة على الأهمية الكبرى التي أولاها المنهج النّبوي لتماسك المجتمع ووحدته وبنائه على منظومة قيم جامعة ترسّخ كلّ سلوك إيجابي خيّر، وتنفي كلّ سلوك مناقض لقيم التعايش والأخوة والوفاق، ولذلك ليس من الغريب أن يشبّه رسول الله ﷺ المجتمع المؤمن بالبنْيان حين قال: (المؤمن للمؤمن كالبنْيان يشدّ بعضه بعضاً ثم شبك بين أصابعه)[66]. وسِرُّ هذا الاهتمام بمقاصد القيمُ الاجتماعية، وتربية الأمة عليها بما يحقق تماسك المجتمع وتوافقها، ويحصن المجتمع الإنساني من كلّ سلوك مُشين مخالف ومناقض؛ ومن ذلك حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ:(لاَ تَهَجَّرُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلاَ تَحَسَّسُوا وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا)[67]، فيه تأكيد على كلّ مقاصد المحافظة على الوجود، بما يحقق النّهوض والتّحضر والعمران، قال ﷺ: (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد؛ إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسّهر والحمى)[68]. أما في الميدان الاجتماعي فقد كانت النتائج رائعة حقاً، فلأول مرة تسود العالم الفكرة الإنسانية التي تجعل الأخوة الإنسانية، والمساواة والعدالة بين البشر وتعدّ الأفراد والشعوب أجزاء من إنسانية واحدة، ينبغي أن يتعاونوا ويتكاملوا سائرين نحو أهداف الحق والخير والعدل، وتلاقت في الحضارة الإسلامية شعوب تعاونت في سبيل الخير في ميادين العلم والثقافة والاقتصاد والتجارة وسائر ميادين الحياة، بين البشر والشعور بمسؤولية إقامتها في العالم، دون نظر إلى الفوارق الجنسية أو الدينية أو اللونية أو غيرها، وقد أعلن النّبي ﷺ تلك الكرامة والمساواة على الأشهاد، حين قال:(المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم ألا لا يُقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده)[69]، ولذلك لم تكن نظرة الشعوب إلى العرب المسلمين الذين دخلوا بلادهم نظرة الفاتحين المستعمرين، بل نظرة من يحملون إليهم

---

[64]/ أبوداود، باب في قتل النساء، (2670).
[65]/أبوداود، باب في دعاء المشركين، (2616).
[66]/ البخاري، باب نصر المظلوم، (2314).
[67]/ مسلم، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس، (6702).
[68]/البخاري، باب رحمة الناس والبهائم، (5665).
[69]/ النسائي، السنن الكبرى، باب إعطاء العبد الأمان، (8681)، مسند أحمد، مسند علي بن أبي طالب(959).

EDITORIAL

الخير ويقيمون موازين الحق والعدل، ويشعرون بالأخوة الإنسانية والمساواة بين عباد الله، وهذا هو السبب في أن البلاد التي دخلوها بقيت فيها آثارهم خالدة شاهدة عليهم، وحررت الفكرة الإسلامية الشعوب من الخضوع المطلق للملوك والرؤساء، إذ جعلت نظرتهم إليهم نظرة إلى أفراد من البشر مثلهم، عباد لله لا يمتازون عنهم بشيء إلى ما حملوا من أمانة يجب عليهم حسن أدائها، وأعظم من ذلك كله ما بعثته النظرة الإسلامية في النفس البشرية من يقظة الضمير الإنساني وانتعاشه وحيويته، ذلك الضمير الذي يتأمل للشر، ويحنق على الظلم، ويتلهف لإقامة الحق وإشاعة الخير، ويشعر بالمسؤولية أمام الله عن التقصير في أداء الأمانة في هذه الحياة والاضطلاع بما أوجب الله عليه من العمل والجهاد، إن عالمنا الذي نعيش فيه، والعصور والأجيال التي تأتي من بعدنا كذلك، في حاجة إلى تبني هذه النظرة التي حرر بها المنهج النبوي الإنسان من الخرافة والشهوة والعصبية الخاصة، وربطه بالكون والوجود والبشرية، عن طريق ارتباطه بالله العليم الخبير وبالحياة الآخرة الباقية، إن هذه النظرة تجمع في نسق واحد روحانية الدين، وعقلية العلم، وفعالية العمل وخلقية الغايات والمقاصد، وهذا يزيد المؤمن والعالم تواضعاً ليأخذ حياته الدنيا، ومهمته الاستخلافية الأخلاقية الإعمارية الخيّرة، فيحقق ذاته وسعادته والرضا في الدنيا، وتطمئن نفسه الرّضية إلى مصيره في الآخرة[70]، يقول تعالى:﴿**يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**﴾**[الروم:7]**، وبهذا البناء المقاصدي في إطار منهجية السنة النبوية في تحقيق مقاصد الفرد، والمجتمع، والإنسانية يتم النّهوض الحضاري، لأنّ سنة الله في خلقه وكونه لا تقتصر على تنوّع الناس، وإنّما تشمل تنوّع المصادر والثُّروات الطبيعية، بما يجعل كل شعب محتاج لما في يد الآخر، وبهذا يكون التكامل والتعاون بين الشعوب والأمم، الذي هو مقصد يحقق البناء الحضاري والنّهوض العمراني.

4- مقصد الصّلاح العمراني: ومن بين المقاصد الكلّية الضرورية التي دلّ الشرع على حفظها واتخاذها مقصداً الصلاح العمراني، بمفهومه الواسع، هو حفظ نظام العالم، وضبط تصرفات الجماعات والأقاليم، على وجه يحفظ مصالح الجميع، ويرعى المقاصد الكلية الإسلامية، والمصلحة الوجودية الجامعة، التي تشتمل على كل ما سخّره الله لخلقه من بحار، و أرض وجبال، ومعادن، وطبيعة، وآيات التسخير في القرآن كثيرة جداً، منها قوله تعالى:﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ**﴾**[البقرة:164]**, **وقال تعالى:** ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ**﴾ **[الحج:65]**، **وقال تعالى في تسخير الأنعام:** ﴿**وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ**﴾ **[يس:72]**, **وقال تعالى:** ﴿ **فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ, لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا**

[70]/ عبد الحميد أبو سليمان، مصدر سابق، ص57.

EDITORIAL

دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾[الحج:36-37], إلى غير ذلك من الآيات، فما يحصل اليوم في حياة الناس من جراء التفاعل غير الصحيح مع الكون، وما تعانيه البشرية من تلوثات، ومجاعات، وفقر، وتهديد بنفاد المسخرات الإلهية - حسب البناء الفلسفي للنظرية الاقتصادية المادية – تحت شعار قهر الطبيعة، إنّما يعبّر عن جهل الناس بمقاصد الشارع الحكيم، التي دلت على حفظ الدين والنفس والعقل والمال والنّسل، كما دلّت على حفظ الكون، فهذه الكلية الأخيرة تؤدي غرضين في موضوع الاستخلاف: أولهما: التسخير المادي وما يشتمل عليه من خيرات هي قوام العمران البشري، والبناء الحضاري في جانبه المدني والمعاشي. وثانيهما: التسخير السّنني وما يشتمل عليه من آيات، وسنن، وقوانين دالّة على أنّه الحق تبارك وتعالى، قال عز وجل:﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[فصلت : 53]. فللكون دور أساس وضروري في هداية الناس إلى الحق تبارك وتعالى، والناس عندما لا يحافظون على الكون ولا يسخرونه كما أمر تبارك وتعالى، فإنّهم سيهلكون، وما تلوث البيئة الحالي، ونفاد الطاقة، وأسلحة الدمار الشامل، التي تهدد جميعها بهلاك النسل، إلاّ مظهر من المظاهر الدالة على أزمة عدم المحافظة على كلّية الكون، التي دلّ الشرع على أخذها في الحسبان، إذ بدون ذلك ستضيع كل مصالح الناس الخاصة بحياتهم المادية، والمعنوية[71]. وهناك توجيه نبوي عظيم الدلالة في هذا الميدان، قلّ ما يدركه الباحثون وهو قوله ﷺ: (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها)[72]. ففي الحديث إشارة واضحة إلى استدامة التنمية، والمحافظة عليها، والاهتمام بالمرافق العامة، وإصحاح البيئة. إن مقاصد الشارع في الكتاب، والكون والأنفس، وضعت لتحقيق مصالح العباد في الدارين، وبها سيحصل الاستخلاف الذي أوجد البشر من أجله أصلاً، كما أنّها تمثل أصلاً، منهجاً تغييرياً مستقيماً على الطريقة، وأما في نظرة الإسلام فأمام الإنسان أن الوجود، ينتهي إلى الله الخالق المبدع المنعم، في إبداع الخلق ووحدته التكاملية، سواء في نظرته العقلية وتفكيره؛ أم في شعوره في حياته العملية، فتتصف نظرته باللانهائية والخلود والأخلاقية، قال تعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[آل عمران:190-191]، التي تبرز وتجسد عن تلك النزعات الفطرية في قيم الخير والحق والعدل والإخاء، والتكافل والرحمة والسلام، قال تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإحسان وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل:90]، من دونها لا يعود للوجود والحياة، ولا لنظامه البديع معنى، وإنّ من أعظم مزايا النظرة الإسلامية إلى الوجود، الفصل شبه التام بين ما يسميه عالم الشهادة وعالم الغيب، فلكلّ منهما آفاقه ووسائل إدراك حوادثه ومعرفة حقائقه، ولذلك فإنّ نظرة الإسلام الغيبية تتضمن الإيمان بالله الخالق وبالحياة الأخرى، وبذلك العالم الآخر الذي تخفى على حواسنا حوادثه وسنته بل صلاته بالعالم المحسوس. فعالم الشّهادة عالم الكون المحسوس، له سننه وقوانينه التي تنظم حوادثه، والحواس، وخاصة السمع والبصر، وسائل لمعرفته مستعينة

[71]/د. سعاد رحائم، الحضارة الإسلامية جذور وامتدادات، كتاب الأمة ، قطر، عدد121، 1428هـ، ص.
[72]/مسند أحمد بن حنبل، مسند أنس بن مالك، (13004).

EDITORIAL

بالعقل، وهو في هذا يتفق مع النظرة العلمية التي تخضع الكون وتستنتج قوانينه وسننه، قال تعالى:﴿**فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّةَ آلاْوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً** ﴾[فاطر:90] وتربط حوادثه وتكتشف أسراره، وأما عالم الغيب فطريق معرفته الإجمالية العقل، ولكنه وحده لا يستطيع أن يهتدي في مجاهله، ولا بد من الاستعانة بملكة الروح عن طريق هداية الوحي والنبوة والكشف الروحي[73]. أنّ تجاوز النظرة المادية في الوجود والإنسان والمجتمع إلى الله الخالق القدير، المنظم المنعم، الذي هو المثل الأعلى الكامل للكون والإنسان الناقصين، يرتفع بالإنسان في نظرته وسلوكه ارتفاعاً كبيراً لا سيما في خلقه وغاياته، وفي استخلاف الإنسان وتكريمه بالقدرة على التّصرف، والقدرة على الخيار وحرية اختيار القرار، وما يستتبع ذلك من مسؤولية الإنسان الإعمارية لتحقيق الحياة الطيبة، وتستجيب لحاجاته، وتسمو به في معارج القيم في صنع الخير وطلب الحق وإبداع الإعمار[74]. وإنّ هذه النّظرة التي قدّمها المنهج النّبوي إلى العالم تركت آثاراً عميقة في مجرى التاريخ البشري، وليست القضية أن الإسلام نقل بعض الشعوب من شكل من أشكال العبادة إلى شكل آخر، أنّ القضية أعمق من ذلك بكثير، فإن علم العمران كما هو مستوحى من الوحي قرآناً وسنة، وكما تطبقه سّنة النبيﷺ في واقع الأمة، يحقق عمارة الكون ومهمة الاستخلاف، بتأكيد قيمة العلم وعلو منزلته، مثلما يؤكد كذلك على وحدة الخلق والنشأة، قال تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[الحجرات:13] ، وقول رسول الله ﷺ:(إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِعْلاَنِ الَّتِى تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ)[75]. بهذه النّظرة المتوازنة إلى الكون، التي تقوم على أساس أنّ الإنسان روح وجسد وعقل ووجدان، والإسلام دين ودنيا وعقيدة وشريعة، والإيمان علم وعمل ظاهر وباطن[76]، يتحقق الاستخلاف إصلاح الكون، وعمارة الأرض، إن التمسك بقيم الإسلام الحضارية، هو السّبيل إلى تحقيق حضارة نافعة؛ تشمل العمران والاقتصاد والسّياسة والاجتماع والتّقدم في سائر العلوم والمعارف، وترسّخ المعالم الإنسانية النّبيلة، التي تنشر الأمن والاستقرار والفضيلة بين كلّ الناس من مختلف الأعراق والأجناس والعقائد[77]، وبها حقق الإسلام النهوض الحضاري والعمران الكوني.

الخاتمة:

أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

---

[73]/عبد المجيد النجار، مصدر سابق، ص 95.

[74]/أ.د عبد الحميد أحمد أبوسليمان، الرؤية الكونية الحضارية القرآنية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار السلام، ط1430،1هـ، 2009م، ص118-119.

[75]/ أبوداود، في السنن، باب في التفاخر بالأحساب، (5118)، مسند أحمد، مسند أبي هريرة، (8721).

[76]/ أحمد المطيعي، علم العمران وعلوم الإنسان، مجلة المسلم المعاصر، 55،56، 1410هـ، 1990م، ص 47.

[77]/د. سعاد رحائم، مصدر سابق، ص160.

EDITORIAL

1- إنّ التدين الحقيقي الذي دعت إليه السنة النبوية، يعني التحرر من الألوهيات والظلم، وإقامة العمران، وإنتاج العلوم والمعارف، وإبداع الصناعات، وتجويد العمل، وبناء الحياة وفق منهج الله، لتحقيق النّهوض الحضاري والبناء العمراني.

2- منهجية الرسول ﷺ المضمنة في أقواله، وأفعاله، وتقريراته، وأخلاقه، وشمائله، وجميع تصرفاته، مصبوغة بالمنطق المقاصدي الهادف إلى تحقيق الاستخلاف.

3- إنّ تأسيس فهم مقاصدي لتوظيف السنة النبوية في بناء الحضارة والعمران، يتحقق بالنظر في فقه سنن الله في الكون، وفقه الاستخلاف في قيام الحضارات وسقوطها، وإنتاج كافة العلوم والمعارف، وإيجاد حلول لكافة مشكلات الأمة الأخلاقية والمادية، والعقلية والنفسية، والفكرية والاجتماعية، والسياسية والاقتصادية، والأدبية والعمرانية، لاستعادة دور الإسلام الحضاري.

4- تتبيّن ملامح وسمات المنهج المقاصدي للسّنة النّبوية؛ من خلال نظرين: أولهما: العلاقة الوثيقة بين مقاصد مصدري المعرفة والتشريع، القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة(الوحي)، وثانيهما: من خلال النظر في الدور المقاصدي للسنة النبوية وتوظيفها في تحقيق النهوض والعمران(الاستخلاف).

5- استخلاف الله للإنسان يتجلّى في تكريمه، ومنحه القدرة على التّصرف وحرية اختيار القرار، وما يستتبع ذلك من مسؤولية الإنسان الإعمارية لتحقيق الحياة الطيبة، والسمو به في معارج القيم، في صنع الخير وطلب الحق وإبداع الإعمار.

أهم التوصيات التي يتقدم بها الباحث:

1- نوصي جميع الباحثين والمهتمين وعلماء السنة بأن تتوجّه جهودهم في توظيف السنة النبوية في مقاصد تحقيق حضارة نافعة؛ تشمل العمران والاقتصاد والسياسة والاجتماع، والتّقدم في سائر العلوم والمعارف، وترسخ المعالم الإنسانية النبيلة، التي تنشر الأمن والاستقرار والفضيلة، وتسهم في النّهوض الحضاري عمارة الكون.

EDITORIAL

المصادروالمراجع:

أولاً: القرآن الكريم:

1- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ، 1987م.

2- ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2009م.

3- ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984م.

4- أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي،مؤسسة الريان-دار ابن حزم، الطبعة الأولى 1424هـ-2003م.

5- أبوبكر محمد أحمد، انعكاسات الفكر الأصولي على تخطيط مناهج التعليم الجامعي، مقاصد الشريعة نحو إطار للبحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، معهد إسلام المعرفة، دمشق، دار الفكر 2009م.

6- أبوداود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون.

7- أحمد المطيعي، علم العمران وعلوم الإنسان، مجلة المسلم المعاصر، 55،56، 1410هـ، 1990م.

8- أحمد بن حنبل أبوعبد الله الشيباني، مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة القاهرة، بدون، مذيلة بأحكام شعيب الأرناؤوط.

9- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، الجامع الصحيح المختصر، دار أبن كثير، اليمامة، بيروت، ط3، 1407هـ، 1987م، تحقيق مصطفى ديب البغا.

10- برغوث عبد العزيز بن مبارك، المنهج النبوي والتغيير الحضاري، كتاب الأمة، قطر، عدد43، ط1، 1415هـ،1995م.

11- جمال عطية، نحو تفعيل مقاصد الشريعة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1422هـ، 2001م.

12- خيري: إبراهيم محمد شريف، الدلالات التربوية في السنة النبوية، مجلة تفكر، معهد إسلام المعرفة، جامعة الجزيرة، العدد1-1436،2هـ، 2014م.

13- سعاد رحائم، الحضارة الإسلامية جذور وامتدادات، كتاب الأمة، قطر، عدد121، 1428هـ.

14- عبد الحميد أحمد أبوسليمان، الرؤية الكونية الحضارية القرآنية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار السلام، ط1430،1هـ، 2009م.

15- عبد الغني عبد الخالق، حجية السنة، معهد الفكر(المعهد الفكري) شتوتكارت، ط1،1986م.

16- عبد المجيد النجار، الاستخلاف في فقه التحضر الإسلامي، مجلة التجديد، العدد الأول، 1417هـ، 1997م.

EDITORIAL

17- عبد المجيد النجار، الإيمان والعمران، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد8،1417هـ، 1997م.

18- عطية: جمال الدين، مقاصد علم الاقتصاد الإسلامي، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، عدد8، 1999م.

19- العلواني: طه جابر، مقاصد الشريعة، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، عدد8، بيروت، 1999م.

20- الفاروقي، إسماعيل راجي، الاجتهاد والإجماع كطرفي الديناميكية في الإسلام، مجلة المسلم المعاصر، عدد9.

21- القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط8، 1417هـ،1996م،

22- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت، موافق للمطبوع.

23- مقاصد الشريعة وتحقيقها في المجتمعات المعاصرة، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، الندوة العالمية، 1427هـ، 2006م.

24- الميساوي: محمد الطاهر، دراسة وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة، والبصائر للإنتاج العلمي، كولامبور، 1998م.

25- نعمان عبد الرازق السامرائي، نحن والحضارة والشهود، كتاب الأمة، قطر، عدد80، 1421هـ

26- نورالدين بن مختار الخادمي، الاجتهاد المقاصدي..حجيته.. ضوابطه. مجالاته، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، العدد65، 1419هـ